الأثر العقدي والسياسي لفرقة الإسماعيلية في المغرب العربي خلال القرنين الثالث والرابع الهجري.

بيان عبد الرحمن العثماني

باحثة دكتوراة في تخصص العقيدة والدعوة، جامعة الملك عبد العزيز.

Bayaann1234@gmail.com

إشراف: أ. د. سلوى المحمادي.

الملخص: **عنوان البحث**: الأثر العقدي والسياسي لفرقة الاسماعيلية في المغرب العربي خلال القرنين الثالث والرابع الهجري. **مشكلته**: جاءت هذه الدراسة للإجابة على سؤال: ما هو الأثر الذي تركه الشيعة الإسماعيلية في المغرب العربي على الصعيد الفكري والسياسي؟ **أهدافه**: الوقوف على حقيقة الفرقة الإسماعيلية البعيدة عن الإسلام، وبيان أهم الآثار العقدية والسياسية لوجود الإسماعيلية في المغرب العربي. **منهجه العلمي**: مزج البحث بين المنهجين التاريخي والاستقرائي، وكذلك المنهج النقدي، مع اعتبار التفاوت في درجة استخدامها من موضع لآخر. **أهم نتائجه**: أن الإسماعيلية قد سلكوا في نشر مذهبهم في المغرب العربي مسلكاً دقيقاً حسب ما اقتضته مراتب الدعوة عندهم. كما أظهر عبيد الله المهدي التشيع القبيح القائم على سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، وقد تركت السياسية الدينية للدولة العبيدية القائمة على الإجبار والاضطهاد أثراً على العامة والعلماء في المغرب العربي.

الكلمات المفتاحية: الإسماعيلية– المغرب العربي– القرن الثالث الهجري.

المقدمة: قامت على أرض المغرب العربي خلال القرون الأولى عدة دول مستقلة، حملت لواء مذاهب أصحابها، وشهد المغرب العربي وجود العبيديين، الذين دانوا بالمذهب الإسماعيلي، وقد سلكوا سبيل الفرق من قبلهم في إقامة دولة تحمل لواء المذهب، فدامت دولتهم في المغرب العربي نيفاً وستين سنة، حيث دخل العبيديون المغرب في نهاية القرن الثالث، واستمرت دولتهم حتى مطلع القرن الخامس الهجري، والجدير بالذكر أن العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري شهد مداً شيعياً كبيرا، حتى سمى بعض الباحثين ذلك العصر "عصر انتصار الشيعة"[1] إذ قامت دول شيعية في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي، فكان للعبيدين السبق في إقامة دولتهم في المغرب، فأحدثوا أثراً في المجتمع المغربي من الناحيتين العقدية والسياسية، فكان لا بد من تسليط الضوء على أثر هذه الفرقة في المغرب العربي.

مشكلة البحث: جاءت هذه الدراسة للإجابة على سؤال: ما هو الأثر الذي تركه الشيعة الإسماعيلية في المغرب العربي على الصعيد العقدي والسياسي؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أن قراءة التاريخ مهمة لطالب علم العقيدة، فمعرفة تاريخ الفرق مهم في الوقوف على التطور العقدي للأفكار والمقالات، وقراءة التاريخ تعين الباحث في معرفة حقيقة هذه الفرق وبعدها عن الإسلام، وحين كانت فرقة الإسماعيلية لا تزال حاضرة في زمننا الحاضر، كان لا بد من معرفة حقيقة هذه الفرقة من خلال تاريخها، والوقوف على الأثر الذي أحدثته في المغرب العربي.

أهداف البحث:

- بيان الأساليب التي استخدمها الشيعة الإسماعيلية لنشر المذهب.
- بيان الأثر العقدي للإسماعيلية في المغرب العربي
- بيان الأثر السياسي للإسماعيلية في المغرب العربي

[1] انظر: ايمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر. تفسير جديد. 122

منهج البحث: استلزمت طبيعة الموضوع الجمع بين أكثر المناهج المتبعة في الدراسات العلمية النظرية، حيث مزج البحث بين المنهجين التاريخي والاستقرائي، وكذلك المنهج النقدي، مع اعتبار التفاوت في درجة استخدامها من موضع لآخر.

خطة البحث: جاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: الآثار العقدية والفكرية لوجود الشيعة الإسماعيلية في المغرب العربي.

المبحث الثاني: الآثار السياسية لوجود الشيعة الإسماعيلية في المغرب العربي.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج وأهم التوصيات.

المبحث الأول: الآثار العقدية لوجود الإسماعيلية في المغرب العربي:

مارست الدولة العباسية التي كانت تحكم آنذاك، الاضطهاد على الإسماعيلية الذين كانوا يرون أن العباسيين اغتصبوا حقهم في الخلافة، فاشتد الصراع بينهم، حتى أقام الإسماعيلية الثورات ضد الدولة العباسية معلنين بها عن بغضهم للدولة، وقاصدين من خلالها إعادة الخلافة لهم؛ فأحكمت الدولة العباسية قبضتها، وشددت في معاقبة العلوية، وإرهابهم والتنكيل بهم، فلجأ الإسماعيلية حين فشلوا وتفرق شملهم وانقسموا على أنفسهم لفرق متعددة لما يعرف عندهم بدور الستر وهي الفترة التي تبدأ من وفاة الإمام جعفر الصادق، فاتخذوا التقية مذهباً لهم؛ لذا يصف المؤرخون والباحثون هذه الفترة من التاريخ بالغموض[2]، حيث لجأت الشيعة الإسماعيلية إلى التجمعات السرية التي تهدف من خلالها لنشر المذهب وتسعى إلى إقامة دولة مستقلة عن الخلافة العباسية، فاتخذ "أئمة الإسماعيلية من مدينة سلمية من أعمال حماة ببلاد الشام مركزاً لنشر هذه الدعوة، وكانوا يبعثون من هذه المدينة الدعاة إلى كآفة الأقطار الإسلامية ويعهدون في تنظيم الدعوة إلى كبار الدعاة الذين كان يطلق عليهم في هذا الدور، وهو دور الستر، نواب الأئمة أو الحجج، وهؤلاء يرسلون دعاة من قبلهم لنشر المذهب الإسماعيلي في أرجاء العالم الإسلامي"[3] إلا أن الإسماعيلية قد اضطرت لتغيير مركز الدعوة حين لاحقهم العباسيون وضيقوا الخناق عليهم، فلجئوا إلى اليمن والسبب في اختيارهم اليمن مركزاً للدعوة؛ لبعدها عن مركز الخلافة العباسية، ومناعتها وصعوبة الطرق الموصلة إليها، ولقربها ايضاً من الحجاز. وقد عرف القائم بالدعوة الإسماعيلية في اليمن بابن حوشب، فكان من ضمن مهامه الأساسية إرسال الدعاة إلى اليمامة، وعمان والبحرين، ومصر والمغرب[4]؛ مما نتج عنه دخول المذهب الإسماعيلي المغرب العربي، وقد سلك الإسماعيلية سبيل التخفي والتقية في بداية أمرهم، عملاً منهم بأصل من أصول عقيدتهم؛ لذا فإن الداعي أبا عبد الله الشيعي لم يفصح عن مذهبه للحجاج الذين التقاهم قبل أن يتأكد منهم، ويعلم بوصول المذهب الشيعي لهم من قبل الدعاة الذين بعثوا إلى المغرب قبله، كما عمل بهذا المبدأ عبيد الله المهدي الذي تستر بزي التجار حين خروجه من سلمية إلى المغرب، إلا أن الدعاة الإسماعيلية في المغرب العربي ما أن استقرت لهم الأمور، وظهر أمرهم وصاروا في جماعات وعساكر أغاروا على من جاورهم وقرب منهم، ودعوا

---

[2] انظر: محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية 19.

[3] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الإسماعيلية في المغرب ومصر وسوريه. 42.

[4] انظر: عبد العزيز السالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. 509.

إلى المذهب الإسماعيلي؛ فأحدث وجودهم في المغرب العربي آثاراً عقدية وفكرية جمة منها:

1- نشر المذهب الإسماعيلي:

سلك الإسماعيلية في نشر مذهبهم مسلكاً دقيقاً حسب ما اقتضته مراتب الدعوة عندهم، فإن الناظر في مسالك الدعوة يعلم أن دعاة الإسماعيلية في المغرب قد بدأوا دعوتهم بالدراسة الدقيقة لنفسية وحال البربر وهي المرحلة الأولى من الدعوة المسماة بالتفرس. ولعل أول ما يلاحظه القارئ لوصية الباعث لداعيي الإسماعيلية[5] في المغرب المبالغة في الحذر والتستر إذ أوصاهما بالتوغل في بلاد المغرب حتى مضارب البربر، وبالانفصال عن بعضهما البعض، فيتجه كل منهما في ناحية من بلاد المغرب. ورغم قلة ما ورد من معلومات عن الداعيين الأولين للإسماعيلية في المغرب، إلا أن مما ينقل عنهما أنهما لم يتجاوزا التعريف بأصل الشيعة الأول في الإمامة والتعريف بفضل آل البيت إلى الأصول الحقيقة للإسماعيلية، فأبو سفيان الداعي عند وصوله للمغرب بنى مسجداً وتزوج امرأة واشترى عبداً وأمة، وعرف بين البربر بكثرة العبادة والذكر، وكان يحدثهم عن فضائل آل البيت، وكذلك فعل الحلواني فتوغل في أرض البربر، واتخذ موضعاً له بنى فيه مسجده وتزوج من امرأة من أهل البلاد، واشترى أمة تساعدها في شؤون البيت وفي دعوة النساء فاستغل شهرته بين البربر بتعريفهم بفضل آل البيت، وبشرهم بقرب ظهور المهدي المنتظر[6]. وبحسب ما تنص عليه الدعوة الإسماعيلية فإن على الدعاة إرسال التقارير والتواصل مع داعي الدعاة الذي يمثله في هذه المرحلة من تاريخ الإسماعيلية ابن حوشب، ولا تذكر المصادر التاريخية تواصل داعيي الإسماعيلية مع داعي الدعاة ابن حوشب، إلا أن اختيار أبي عبد الله الشيعي لموسم الحج والالتقاء مع قبيلة كتامة الذي عرفوا التشيع من أبي سفيان والحلواني دون غيرهم من قبائل البربر، لم يكن ليحدث صدفة، كما يؤكده خبر معرفة أبي عبد الله الشيعي لفج الأخيار، فحين سار أبو عبد الله مع قبيلة كتامة نحو المغرب "لقيهم رجال من الشيعة، فأخبروهم بخبره، فرغبوا في نزوله عندهم، واقترعوا فيمن يضيفه منهم ثم رحلوا حتى وصلوا إلى أرض كتامة، منتصف شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين، فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه، فقال لهم: أين يكون فج الأخيار؟ فتعجبوا من ذلك، ولم يكونوا ذكروه له"[7].

وانتهج الداعي أبو عبد الله الشيعي ذات النهج في التستر ومعرفة حال المدعوين قبل دعوتهم فظهر بمظهر المعلم المحب لآل البيت، فلما تملك قلوبهم بحديثه عن آل البيت، وعلمه بدأ بسؤالهم عن أحوال المغرب العربي السياسية والاجتماعية، وعلى طبيعة علاقاتهم بالدول القائمة في المغرب، فلم يعرفهم بحقيقة دعوته، وإنما ابتدأهم بالحديث عن آل البيت الذين ترسخت محبتهم في قلوبهم. وما أن استقر في المغرب حتى بدأ يظهر شيئاً من العقائد الإسماعيلية بحسب ما تقتضيه الظروف؛ إذ الأصل في الدعوة الإسماعيلية التدرج. فحين رغب الداعي أبو عبد الله بالتأثير على مشاعر الكتاميين قال لهم: إن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان، فإنهم كتامة، وبخروجكم من هذا الفج يسمى فج الأخيار. فتسامعت القبائل، وصنع من الحيل والمكيدات ما أذهل عقولهم، وأتاه البربر من كل مكان، وعظم أمره إلى أن تقاتلت كتامة عليه

---

[5] إن المصادر التاريخية لا تسعف الباحث في أمر هذين الداعين واسميهما، ونشأتهما؛ فهي إما تذكر أمرهما باقتضاب كما فعل ابن الأثير، وإما تهمله تماماً ولا تذكره كفعل صاحب كتاب البيان المغرب.

[6] انظر: لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية. 218.

[7] عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ 584/6.

مع قبائل البربر، وسلم من القتل مرارا[8]. ولما اشتهر أمره بين قبائل البربر جاهر بمذهبه، وأعلن بإمامة أهل البيت، ودعا للرضا من آل محمد واتبعه أكثر كتامة[9].

فسلك الداعي أبو عبد الله الشيعي في سبيل الدعوة ونشر المذهب الإسماعيلي مرحلتين: تمثلت المرحلة الأولى بجمع المعلومات عن قبائل البربر، وطبيعة بلادهم، والظهور لهم بشخصية المعلم وتعريفهم بفضل آل البيت. المرحلة الثانية: تمثلت بالمجاهرة بمذهبه الإسماعيلي، إذ عقد مجلساً خاصاً يجتمع فيه مع الوفود ويبث فيه أسرار الدعوة وفضائل آل البيت، ويتلقى العهد عن المستجيبين وكان كل مستجيب يأخذ عن الداعي من الحقائق ما يكفيه للاقتناع بالدعوة دون بحث اسرارها، فإذا طلب المزيد للكشف عن حقيقتها اكتفى الداعي بقوله: (أبلغ توقن) وهو رمز غامض اختلقه لكي يحد به من الإكثار من توجيه الأسئلة إليه عن ماهية الدعوة، وهو في ذلك يتبع المرحلة الأولى والثانية من مراحل الدعوة وهي المسماة بالتفرس والتأنيس إذ بعد أن عرف أحوال المستجيب وطرح عليه من الأسئلة ما جعله يشك ويرغب في معرفة ماهية الدعوة، أظهر له ما يألفه ويرغبه في الدعوة[10].

وقد اختار الداعي الشيعي دعاة للمذهب الإسماعيلي، يرسلهم لسائر نواحي كتامة، ويلقبهم بالمشايخ أو المقدمين، نشروا المذهب بين سكان الريف والمدن في المغرب العربي، فينتخب الداعي لهذه المهمة أشخاصاً تتوافر فيهم صفات الداعي، ويسر بالدعوة إليه، لا يطلع على ذلك أحد من أهل ولا ولد، كما لا يعرف الدعاة مسيرة بعضهم البعض، إذ يسر لكل واحد منهم على حدة بمسيرته الخاصة به التي لا يطلع عليها غيره، ولم يكن أمر الدعوة يختص بالرجال من قبيلة كتامة بل يذكر قاضي الإسماعيلية أن من النساء من بلغت رتبة داعي الدعاة وهي أم موسى بنت الحلواني، وكان للنساء من كتامة دور في نصرة المذهب الإسماعيلي؛ فكانت امرأة يحيى بن يوسف المعروف بابن الأصم الأجاني الذي مات قبل دخول الداعي أبي عبدالله الشيعي للمغرب "لما احتضر أخرج مالاً إلى أمراته، وكانت حدثة السن يومئذ، وهو شيخ، وكان قد أدبها وعلمها التشيع والولاية، فقال لها: إن هذا المال ما كنت أعددته إلا لما كنّا نسمعه من الحلواني من أمر المهدي، وأنه يطأ بلدنا، وكنت أعددت هذا المال للنفقة في الجهاد بين يديه أو بين يدي داعيه، فليكن عندك بأمانة الله فأخرجيه، فأنفقيه! ومات...وعاشت هي إلى أن دخل أبو عبد الله، ودُعيت وحسنت حالها، وأخرجت إليه المال ودفعته إليه، وأخبرته بما كان من وصية زوجها إليها، وكان لها مال فأنفقته في الجهاد. وكانت تصنع بيدها الطعام للمجاهدين وضعفاء المؤمنين، ولمن ينزل بأهلها منهم، حتى أن يديها كانتا تُدميان من الطّحين وعلاج الطعام لهم"[11] .

وقبل استقبال أبي عبد الله الشيعي للمهدي وكنتيجة لسقوط الدولة الأغلبية، قام أبو عبد الله بأجراء تعديلات تضمن تغلغل المذهب في أنحاء القيروان، فبعد أن أمن المدينة وخطب بسكانها قائلاً: (سوف أملأ جزيرتكم خيلاً ورجلاً من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيعز الله بهم الدين والمسلمين ويذل بهم الشرك والمشركين)[12]، وعهد الداعي لرجال كتامة وللعناصر الشيعية بالإشراف على النواحي الإدارية والعسكرية، فعهد بالقضاء إلى محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى، المعروف بالمروزي، وهو الذي امتحن كثيراً من فقهاء أهل السنة، وأمر بترك

---

[8] انظر: الكامل في التاريخ 585/6.

[9] انظر: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون 42/4.

[10] انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة 25، دور كتامة في قيام الخلافة الفاطمية 243.

[11] افتتاح الدعوة 131.

[12] افتتاح الدعوة 257.

صلاة التراويح في شهر رمضان باعتبارها بدعة أحدثها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأمر المؤذنين بزيادة حي على خير العمل، واسقاط" الصلاة خير من النوم" في صلاة الفجر. وعين أبو عبد الله الشيعي أئمة لمساجد القيروان ورقادة كلفوا بالدعاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمم هذا الدعاء في سائر منابر افريقية، إعلاناً بمذهب الشيعة في تفضيل علي رضي الله عنه، وبغض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. إلا أنه في هذه المرحلة لم يصرح باسم المهدي، ولا خطب باسمه، وهذا ظاهر في خطب الجمع والأعياد في تلك السنة[290هـ][13]، وحتى وقت خروجه لإنقاذ عبيد الله المهدي من سجن أمير سجلماسة، وإصداره سجلاً خاصاً قرئ على سائر منابر أفريقية فضلا عن القيروان ورقادة؛ إذ لم يرغب بترك المدينة فجأة وإثارة الشائعات واضطراب الأمن، فلم يشر صراحة إلى اسم عبيد الله وإنما لمح إلى ذلك بقوله: (آثرت ترك الدعة والسعة وهجرت مهاد الخفض ورفاهة العيش ابتغاء ثواب الله في لم شعثكم وضم نشركم وما يعود نفعه عليكم في يومكم وغدكم وعاجلكم وآجلكم)[14].

وبفضل جهود أبي عبد الله الشيعي في نشر المذهب، وإرساله للدعاة في أنحاء المغرب العربي، ترسخ المذهب في قبائل كتامة وما جاورها ودان كثير من البربر بمذهب الإسماعيلية، فمُهد المغرب لقدوم عبيد الله المهدي، الذي كغيره من دعاة الإسماعيلية سلك سبيل التخفي وتستر بستار التجار في اثناء رحلته إلى المغرب، وما أن وصل المغرب واستقرت له الأمور حتى أفصح عن هويته، ومذهبه، وقام بعدة إجراءات في القيروان وما جاورها من المناطق التي نشر فيها الدعاة المذهب الإسماعيلي، فأمر خطباء القيروان ورقادة بأن يدعوا إليه يوم الجمعة بلقب "المهدي أمير المؤمنين" ونقش على خاتمه قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[يونس: 35] وأمر أن تقلع من المساجد والمواجل والقصور والقناطر أسماء الذين بنوها، وكتب عليها اسمه. وأظهر عبيد الله التشيع القبيح وسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه حاشى علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وزعم أن أصحاب النبي رضي الله عنهم ارتدوا بعده غير هؤلاء، ومنع المروزي الفقهاء أن يفتي أحدهم إلا بمذهب زعم إنه مذهب جعفر بن محمد، كان منه سقوط الحنث عمن طلق بالبتة، وإحاطة البنات بالميراث[15]، وطالت المظاهر الشيعية الآذان فكان نص الآذان من دخول عبيد الله المهدي وطوال حكم العبيديين، بعد التكبير والشهادتين "حي على الصلاة حي على الفلاح" مرتين "حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر" أربع مرات "لا إله إلا الله" مرة، ثم يقول المؤذن: أحياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين، جامع شمل الإسلام والمسلمين، وأعز بسلطانك جانب الموحدين، وأباد بسيوفك كافة الملحدين، وصلى عليك وعلى آبائك الطاهرين وأبنائك الأكرمين، صلاة دائمة إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[16]. كما نقشت الشعارات الشيعية على علامات السيادة في الدولة. والناظر في خطابات عبيد الله المهدي لأهل المغرب باختلاف أسبابها يجدها تحمل في طياتها الكثير من العقائد الشيعية الإسماعيلية، فجاء في خطابه الذي أمنّ به أهل القيروان: (الحمد لله الناصر لأوليائه لما سبق لهم من وعده وخاذل أعدائه بعد الإعذار إليهم بوعيده، الذي لم يجمع بين أنصار الحق وأتباع الباطل في موطن من مواطن التحاكم إلا وهب لأنصار دينه النصر، وأيدهم بالعز وأنزل بأعدائه البأس والنقمة والدمار والهلكة، إظهاراً

---

[13] انظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب 152/1.

[14] افتتاح الدعوة 274.

[15] البيان المغرب 159/1.

[16] انظر: محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. 50.

لفضل منزلة الحق عنده، وإذلالاً لمن عند عن سبيله، وصدف عن حقه، حمداً يرضاه ويتقبله، ويحسن المزيد عليه من فضله)[17]

وبأخذ الظروف السياسية للقيروان بعين الاعتبار، فإن نصر الله لأوليائه إنما عنى المهدي بهم الشيعة الإسماعيلية، إذ ظفر المهدي بدخول عدة مناطق في المغرب العربي تحت عهدته، ونشر فيها المذهب الإسماعيلي، وخذلان الله لأعدائه عنى بهم الأغالبة الذين سقطت دولتهم بدخول المهدي أرض المغرب العربي، والخوارج الصفرية بسجلماسة، وتنقل المصادر التاريخية أن أيمان البربر من قبيلة كتامة هي قولهم "وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة" ووصل غلو بعض الشعراء بعبيد الله أن مدحه أحدهم فقال:

حل برقادة المسيح ... حل بها آدم ونوح

حل بها أحمد المصطفى ... حل بها الكبش والذبيح

حل بها الله ذو المعالي ... وكل شيء سواه ريح[18].

ولم ينكر المهدي هذا الكفر الصريح، ولم ينقل عنه ذلك، والناظر لعقائد الإسماعيلية يعلم أن مسألة إضفاء صفات الألوهية على الأئمة عقيدة ثابتة عند الإسماعيليين[19].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الإسماعيلية لم تكتف بإعداد الدعاة وإرسالهم إلى أرجاء العالم الإسلامي للدعوة، بل أسست نظاماً تعليمياً تُرسخ من خلاله المذهب الإسماعيلي، وقد أبدى عبيد الله المهدي اهتماماً من ناحية إعداد الدعاة، وإقامة نظام تعليمي سمي بمجالس الحكمة وهي مجالس كانت تعقد تحت إشراف الإمام الإسماعيلي، يعلم فيها أتباعه التأويل الباطني الذي هو أحد الأصول الدينية الإسماعيلية، ويتدارس هو وأتباعه فيها الفقه الإسماعيلي، غير أن الظروف السياسية منعت ذلك. ولمّا استقرت الأمور للمعز لدين الله وجه اهتمامه ناحية التعليم، وأعاد مجالس الحكمة وكلف القاضي آنذاك للقيام بدروسها، وقام في بعض الأيام بتعليم أتباعه بنفسه في هذه المجالس، وشهدت هذه المجالس انتشاراً في مصر حين انتقل العبيديون إليها. ولأجل التزام الإسماعيلية بالتقية فإنه يصعب على الباحث معرفة التفاصيل الدقيقة لهذه المجالس في المغرب خاصة، إلا أنه بتتبع ما ورد عن هذه المجالس رغم قلته يتشكل للقارئ صورة مبدئية حولها، فيتضح من خلال المصادر التاريخية التي تحدثت عن مجالس الحكمة أنها كانت تقام في القصر العبيدي محل إقامة الخليفة في عهد المهدي، بحضوره أحياناً، وبإشرافه غير المباشر أحياناً أخرى، وفي عهد المعز لدين الله كانت تقام يوم الجمعة لأجل اجتماع الناس لأداء الصلاة، فكانت الفترة المخصصة للفقه الإسماعيلي من صلاة الجمعة وحتى صلاة العصر، وأما مجالس الحكمة الخاصة بالتأويل الباطني وما يتعلق به فتقام بالقصر بعد صلاة العصر[20].

---

[17] افتتاح الدعوة 228.

[18] البيان المغرب 160/1.

[19] انظر: طائفة الإسماعيلية 147.

[20] انظر: إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الخامس/ 618.

2- فرض العقائد الشيعية الإسماعيلية على قبائل البربر:

لمّا كان هدف الإسماعيلية في المغرب العربي إقامة دولة تحمل لواء المذهب الإسماعيلي، يسعون من خلالها لصبغ المسلمين بالصبغة الشيعية الإسماعيلية، فقد سعى أئمتهم لفرض العقائد الشيعة الإسماعيلية، فيروي ابن الاثير أن رجلاً يعرف بالشريف، جلس يوم الجمعة ومعه الدعاة، وأحضروا الناس بالعنف والشدة، ودعوهم إلى مذهب الإسماعيلية فمن أجاب أحسن إليه، ومن أبى حبس، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس، وهم قليل، وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم[21]. فكان هذا شكلاً من أشكال فرض المذهب على البربر، وسلك الإسماعيلية سبلاً أخرى في فرض المذهب تمثلت فيما يلي:

أ- منع الإفتاء بمذهب الإمام مالك، وإلزام الرعية بمذهب جعفر الصادق. ولعل المقصود هو ابن الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق المعروف بالمكتوم، جعفر المعروف بالمصدق، حيث قصد العبيديون من خلال هذا اجتذاب الشيعة الاثني عشرية إلى صفوف الإسماعيلية لما بين المذهبين من اتفاق في بعض الفروع[22]، وفي هذا امتحن العلماء والفقهاء، فمن علماء القيروان الذين رفضوا اتباع مذهب الإسماعيلية المبتدع، العالم: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ويعرف بابن البرذون، والعالم أبو بكر بن هذيل؛ إذ جيء بهما إلى عامل القيروان فسألهما الرجوع عن مذهبهما فقال له ابن البرذون: أعن الاسلام تستتيبني؟ فقتلهما[23]، وتروي بعض المصادر أنه أمر بضربهما بالسّوط حتى ماتا، وقيل ضرب أعناقهما وطيف بهما مسحوبين على وجوههما قد ربطا إلى بغل فجرّهما من باب تونس إلى باب أبي الرّبيع فصلبا هنالك[24]. كما ضرب الفقيه محمد بن العباس الهذلي في الجامع عريانا، وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه، وبرح عليه في أسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشارقة بأنه يطعن على السلطان ويفتي بقول مالك[25].

ب- المجاهرة بسب الصحابة رضي الله عنهم: اتخذ العبيديون من سب صحابة رسول الله عقيدة لهم يجاهرون بها، ويحرصون على إقامتها، وفرضها على البربر في المغرب العربي، فمن أبى وعارض قتل، والمصادر التاريخية تشير إلى أحداث كثيرة تظهر اضطهاد العبيديين لأهل السنة في القيروان جراء ترضيهم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من ذلك أن العبيديين نصبوا أحد أتباعهم، في الأسواق، للسب بأسجاعٍ لُقِّنها. يوصل منها الى سب النبي صلى الله عليه وسلم، في ألفاظ حفظها. كقوله: العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى. وغير ذلك. وعلقت رؤوس الأكباش والحمر،

---

[21] انظر: الكامل في التاريخ 598/6.

[22] انظر: محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير 126/3.

[23] انظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء 216/14.

[24] انظر: أبو بكر عبد الله المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية. 47/2

[25] انظر: البيان المغرب 188/1.

على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة، مكتوب فيها أسماء الصحابة. فاشتد الأمر على أهل السنة، فمن تكلم أو تحرك قتل، ومثّل به[26].

ت- إضافة حي على خير العمل في الأذان: فأصدر بذلك مرسوم من عبيد الله المهدي ينص على هذه الزيادة وزيادات أخرى تقدم ذكرها، وتوعد بقتل من لم يلتزم، فروي عن رجل صالح متعبد يكنى بعروس المؤذن واسمه منيب، كان سبب قتله أنه شهد عليه أنه لم يقل في أذانه «حي على خير العمل» فقطع لسانه وقتل بالرماح بعد أن طيف به في القيروان ولسانه بين عينيه، ثم قتل[27]. واستمر اضطهاد أهل السنة في عهد الخليفة المنصور، فقد رفع بعض رجال الدولة إلى المنصور أن أحد العلماء لا يقرأ البسملة في صلاته ولا يقول مؤذن مسجده عند الآذان "حي على خير العمل" فكتب إلى عامل القيروان ليأمرهما بالرجوع عن ذلك فلم يفعلا، وراجعهما غير مرة فلم يرجعا، فبعث إليهما من يشهد فعلهما، فأتى كتاب المنصور إلى عامله بقتلهما[28].

ث- منع العلماء من التدريس والاجتماع بالطلبة: إذ منع العبيديون فقهاء القيروان من الاجتماع والمدارسة، وروي عن أبي بكر محمد بن محمد اللباد أنه كان يجتمع بطلبته في أحد الجوامع، ويتدارس معهم مذهب الامام مالك فبلغ ذلك المهدي فسجنه ومنعه من الاجتماع بطلبته، فاضطر أبو بكر لعقد لقائه بطلبته في منزله خفية عن أنظار العبيديين[29]، كما كان أحد العلماء ملتزماً بالإقراء في الحانوت الذي يبيع فيه القطن، وفيه كان يأتيه من يدرس عليه من الطلبة ومن يسأله ويستفتيه[30]، حتى وصف حال أهل السنة في القيروان أيام بني عبيد، بحال أهل الذمة في تسترهم من أعين بني عبيد، تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة[31].

ج- عقوبة المساس بشخص المهدي: فإلى جانب رضى المهدي عن مظاهر الغلو فيه، تتبع من شكك في نسبه وعقيدته من العلماء في المغرب، فحين جاهر أحد فقهاء المغرب بعداوة الاسماعيلية، أرسل له عبيد الله من يأتي به، ولما وقف بين يديه قال له: أنت الشاتم لنا الذاكر عنا أنا أحدثنا في الإسلام الحوادث؟ فقال له نعم، أنا القائل ذلك. فقال له: وما الذي رأيته منّا؟ فأخبره بكل ما يعتقده في الدين والإسلام وكل ما أحدث فيهما. فقال لهم اضربوا عنقه[32]. ولم يسلم من العقوبة الفقيه أبو القاسم بن المفرج الذي كان له علم بالوثائق، فقد اتهم بالتشكيك في النسب العبيدي[33].

---

[26] انظر: أبو الفضل القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك 303/5.

[27] انظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية. 152/2.

[28] انظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية 374/2.

[29] انظر: أبو زيد عبد الرحمن الدباغ، معالم الإيمان في أهل القيروان. 25/3.

[30] انظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان 30/3.

[31] انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك. 303/5.

[32] انظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية 171/2.

[33] انظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية 166/2.

3- أثر سياسة العبيديين الدينية على العامة وبعض العلماء في المغرب العربي:

إن المنهجية المتبعة من قبل العبيديين في سبيل فرض المذهب الشيعي الإسماعيلي تركت أثرها على العامة والعلماء على حد سواء، فكان من آثارها:

أ. فرار بعض علماء المغرب العربي من أهل السنة فراراً بدينهم إلى مناطق أخرى بعيدة عن حكم العبيديين. منهم: أبو عبد الله محمد بن نظيف البزار الفقيه، فقد خرج إلى المشرق حين اشتد أمر بني عبيد وظهر سب السلف بالمغرب. ومنهم: أحمد بن نصر الداودي الأسدي الذي أنكر الإقامة في ظل دولة العبيديين باعتبارهم كفاراً، وأنكر عليه علماء المغرب؛ حيث رأوا أن البقاء أفضل تثبيتاً للعامة.

ب. تحول بعض علماء المغرب إلى مذهب الشيعة. إن سياسة العبيديين في المغرب العربي في مواجهة أصحاب المذاهب كانت قائمة على أمرين: الأول: سياسة القمع والإجبار، الثاني: سياسة الإغراء بالمال والمناصب. فمن رضي بالأولى قتل، ومن رضي بالأخرى كان في نهاية المطاف على مذهب الشيعة الإسماعيلية.

وممن رضي بالجاه والمناصب التي عرضت من قبل العبيديين:

- أبو حنفية النعمان بن محمد بن منصور القيرواني القاضي: قال الذهبي: (كان مالكيا، ثم تحول إلى مذهب الشيعة لأجل الرئاسة، وداخل بني عبيد، وصنف لهم كتاب «ابتداء الدعوة»، وكتابا في الفقه، وكتبا كثيرة في أقوال القوم، وجمع في المناقب والمثالب، ورد على الأئمة، وتصانيفه تدل على زندقته وانسلاخه من الدين، وأنه منافق، نافق القوم)[34] وحكى عنه قوله لمغربيّ قدم إليه يريد الدخول في المذهب الإسماعيلي فقال: ما يحملك على ذلك؟ قال: الذي حمل سيدنا. قال: يا ولدي نحن أدخلنا في هواهم حلواهم، فأنت لماذا تدخل؟[35].
- علي بن منصور الصفار: اضطره الفقر والإقلال، ومحبة السؤدد إلى أن دخل في مذهب الشيعة الإسماعيلية، واستتر عن العامة والجماعة، ثم كشفت حقيقته، وولي قضاء إحدى مناطق المغرب العربي[36].
- عبد الملك بن محمد الضبي: كان في الفروع على المذهب الشافعي، غلب عليه حب المال فدان بمذهب الشيعة، وافتخر بذلك ولم يستتر[37].

---

[34] شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام316/26.

[35] انظر: تاريخ الإسلام 316/26.

[36] انظر: محمد بن حارث الخشني، قضاة قرطبة وعلماء أفريقية 283.

[37] انظر: قضاة قرطبة وعلماء افريقية. 284.

- أبو بكر بن سلمان: كان حنفياً، أرجع صاحب الطبقات سبب انتسابه لمذهب الشيعة "للتمكن من الوثائق؛ وذلك أنه كان في إملاق شديد ولا ينتصب لكتاب الوثائق إلا من تشرق[38] سيما إن كان ممن يأخذ عليها جعلا، فلما تشرق استحكم له كتابها فقد كسب منها مالاً جسيماً"[39]
- وحكي عن بعض العلماء تعاطفهم وميلهم لبني عبيد، فكان هذا أحد أسباب رفض علماء القيروان لهم، ومفارقتهم. منهم: أبو القاسم بن خلف بن أبي القاسم البرادعي، رغم كونه من حفاظ المذهب المالكي لم تحل له رئاسة في القيروان، ونقل عنه تأليفه لكتاب في تصحيح نسب العبيديين، فأبغضه أصحابه لذلك، ولما عرف عنه من صحبة سلاطين الشيعة[40].
- الفقيه أحمد بن سيرين الحنفي الذي صاحب الداعي أبا عبد الله الشيعي في رحلته لسجلماسة وكانت مكافأته أن ولي مدينة برقة[41].
- خلف بن معمر بن منصور: كان قد تشرق أول دخول الشيعة أفريقية ليعتصم بذلك من مطالبات الشيعة لولده بمال كان غمس يديه فيه عند هرب زيادة الله الأغلبي صاحب الدولة الأغلبية من مدينة رقادة.[42]

ح- فرار بعض العامة من اضطهاد العبيديين لبلاد الروم وتنصر كثير منهم[43].

خ- تعاون الخوارج النكار مع أهل السنة في مواجهة العبيديين. فحين توفي عبيد الله المهدي وخلفه ابنه أبو القاسم الشيعي فأظهر مذهبه، وامتحن أهل السنة، واشتد الأمر على المسلمين، خرج أبو يزيد بن كيداد النكاري الخارجي بإفريقية، صاحب الفرقة النكارية المنشقة عن الإباضية، للقيروان، "فدخلها في صفر، وأظهر لأهلها خيراً وترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ودعا الناس إلى جهاد الشيعة"[44] بقوله: (لم لَا تجاهدوا بني عبيد هَا أَنا رجل أعرج وصاحبي أَبُو عمار أعمى وَقد عذره الله سبحانه ورفع عنه حرج القتال والجهاد فلم نعز أنفسنا)[45] "وأمرهم بقراءة مذهب مالك. فخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأزواجه"[46] وتسارع الفقهاء والعباد إلى الخروج للعامة واستنهاض هممهم في محاربة بني عبيد وتسلحوا "بالسلاح الشاك والعدة العجيبة التي لم ير مثلها"[47].

---

[38] كان عبيد الله المهدي يسمى بأبي عبد الله المشرقي؛ لقدومه من المشرق، لذا أطلق فيما بعد على من انتسب لمذهبه بالمشرقي، ويقال أيضا: فلان تشرق أي دخل في مذهب الإسماعيلية.

[39] طبقات علماء أفريقية. 78.

[40] انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك 258/7.

[41] انظر: البيان المغرب 153/1.

[42] انظر: البيان المغرب 173/1.

[43] انظر: البيان المغرب 215/1.

[44] البيان المغرب 217/1.

[45] أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. 55.

[46] البيان المغرب 217/1.

[47] معالم الإيمان 33/3.

د- إصدار علماء المغرب لعدد من الفتاوى التي تعالج الواقع العقدي في ذلك القرن منها: اصدار علماء المغرب لفتوى بكفر وضلال العبيديين، فأجمع علماء القيروان على أن حال بني عبيد، حال المرتدين والزنادقة؛ فالردة لأجل ما أظهروه من أمور تخالف الشريعة، فلا يورثون بالإجماع، وحالهم حال الزنادقة؛ بما أخفوه من التعطيل فيقتلون بالزندقة[48]. كما بحث علماء المغرب في حال من اعتنق المذهب الإسماعيلي ولو مكرها وكان قلبه مطمئناً بالإيمان هل يكفر بذلك أم لا؟! فأجاب عدد من شيوخ المغرب أنه "لا يعذر أحد في ذلك لأنه أقام بعد علمه بكفرهم، وكفرهم ارتداد وزندقة بخلاف غيرهم"[49]. ولما حُمل أهل طرابلس لبني عبيد أظهروا أن يدخلوا في دينهم عند الإكراه، ثم ردوا من الطريق سالمين، فقال أبو زيد: هم كفار لاعتقادهم ذلك" قال: صاحب معالم الإيمان: (الأقرب أنهم ليسوا بكفار، وإنما صرح الشيخ بكفرهم مبالغة لتغيير العامة لأن المطلوب سد هذا الباب)[50].

ذ- امتناع الفقهاء المالكية في القيروان عن حضور خطب الجمع وصلواتها التي يتقدمها الشيعة الإسماعيلية. وأول من سن هذه السنة وتبعه عليها أهل القيروان بحسب ما تذكره المصادر التاريخية هو: جبلة بن محمود؛ إذ حضر أول خطبة لبني عبيد يوم الجمعة في جامع القيروان فجلس عند المنبر فسمع خطبتهم فلمّا سمع منهم ما لا يجوز سماعه قام وكشف عن رأسه حتى رآه الناس ومشى من المنبر إلى آخر باب في جامع القيروان والناس ينظرون إليه حتى خرج من الباب وهو يقول: قطعوها قطعهم الله. فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعتهم وهو أول من نبّه على ذلك رضي الله تعالى عنه[51].

ر- من الآثار العقدية والفكرية التي شهدها ذاك العصر: المناظرات العقدية الفقهية التي خاضها علماء السنة مع العبيديين، وقد حمل لواء هذه المناظرات فقيهان فذّان، قال صاحب المعالم عنهما: (ولم يزل أهل القيروان في جهاد مع الفرق الضالة والفئة المارقة، ولم يزل الشيخ الأوحد أبو عثمان سعيد بن حداد، وأبو محمد عبد الله بن إسحاق التبان، يناظران على مذهب أهل السنة ويرون ذلك من أعظم الجهاد حتى أخمد الله نارهم، وقل عددهم، وظهر حزب الحق وأعلى الله كلمته)[52]. وقد بذل الفقيه أبو عثمان الحداد جهوداً في سبيل مناظرة الشيعة الإسماعيلية، ناب عن المسلمين فيها أحسن مناب حتى مثله أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام المحنة[53]. ومما ينقل عنه جوابه لمن أمره بالتقية طلباً للسلامة: (قد أربيت على التسعين، ومالي في العيش

---

[48] انظر: ترتيب المدارك وتقريب 277/7.

[49] معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. 265/2.

[50] انظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان 265/2.

[51] انظر: رياض النفوس 43/2.

[52] معالم الإيمان 25/1.

[53] انظر: معالم الإيمان 298/2.

حاجة، وقتيل الخوارج خير قتيل، ولا بد لي من المناظرة والمناضلة عن الدين، وأن أبلغ في ذلك عذرا)[54].

وقد شهد المغرب العربي خلال القرنين الرابع والخامس انعقاد العديد من المناظرات التي يمكن تقسيمها إلى

1- مناظرات عامة: يشترك فيها عدد كبير من علماء وفقهاء المغرب لمناظرة الشيعة. وبالرغم من اختلاف المذهب الفقهي بين هؤلاء العلماء بين حنفي ومالكيّ إلا أن وحدة العقيدة وانتماءهم إلى مذهب السنة قد وحد كلمتهم في هذه المناظرات.
2- مناظرات خاصة: جرت بين عالم من علماء المغرب وأحد الشيعة الإسماعيلية. كالمناظرات التي أجرها أبو عثمان مع أبي عبد الله الشيعي. دارات هذه المناظرات حول العقائد التي حاول الإسماعيلية فرضها بالقوة والإجبار على أهل المغرب، وسعت لإقامة الحجة على الاسماعيلية وبيان بطلان مذهبهم، فتارة تجرى حول قيام رمضان وصلاة التراويح التي أبطلها الإسماعيلية، وتارة حول موالاة علي رضي الله عنه، ولم تقتصر على أمور العقائد، بل أقيمت مناظرات حول القياس وحد شارب الخمر، والنكاح وغيرها من الأمور.
3- مما يعد من النوازل العقدية الفقهية في ذاك العصر: أن طرأت مسألة النكاح بين السني والشيعية أو العكس، فيذكر صاحب المعالم عن أبي إسحاق إبراهيم المعافري أنه امتحن محنة عظيمة؛ إذ استفتي في مسألة، وذكر السائل أن ولي النكاح كان من أتباع المذهب الإسماعيلي. فأجاب أبو إسحاق: أن هذه الفرقة على قسمين: أحدهما كافر مباح الدم، والقسم الآخر وهم الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة، لا يلزمهم القتل ولا يبطل نكاحهم. فأنكر عليه جميع فقهاء أفريقية بالقيروان هذا الجواب[55].

4- **انتشار مظاهر الزندقة في المغرب العربي.**

يتفق معظم الفقهاء والمتكلمين على أن لفظ الزنديق يطلق على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، أياً كان نوع هذا الكفر. فقال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: (فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن وسواء كان في باطنه يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط أو لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين ولهذا كان هؤلاء مع تظاهرهم بالإسلام قد يكونون أسوأ حالا من الكافر المظهر كفره من اليهود والنصارى مثلا)[56] وينبغي التنبيه في هذا المقام إلى أن السلف رحمهم الله لم يقولوا بأن لفظ زنديق مرادف للفظ المنافق، بل أرادوا أن كل زنديق منافق من غير عكس، وهذا ما أشار إليه ابن حجر بعد أن ذكر الخلاف في تعريف الزنديق فقال: (وقد قيل إن سبب تفسير الفقهاء الزنديق بما يفسر به المنافق قول الشافعي في المختصر وأي كفر ارتد إليه مما يظهر

---

[54] معالم الإيمان 298/2.

[55] انظر: معالم الإيمان 177/3.

[56] تقي الدين ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية 338.

أو يسر من الزندقة وغيرها ثم تاب سقط عنه القتل[57]، وهذا لا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق بل كل زنديق منافق من غير عكس)[58]

ولظهور الزندقة أسباب بحثها العلماء في مؤلفاتهم، وتكلموا عن زعمائها وزمن ظهورهم وحالهم، وأما ما يخص المغرب العربي فإن من أهم أسباب ظهور الزندقة: تعدد الفرق المنتسبة للإسلام وتناقضها، فالمغرب العربي شهد خلال الفترة الزمنية الممتدة من [140 هـ]. وحتى[296هـ] قيام أربع دول حملت لواء مذاهب مختلفة بين خوارج وشيعة بمختلف طوائفهم، وقد استغل أصحاب المذاهب الضالة بعد المغرب عن مقر الخلافة فاستطاعوا نشر مذاهبهم بين البربر، وهكذا فعلت الإسماعيلية الباطنية، فنشرت مذاهبها الباطلة تحت مسمى التشيع ومحبة آل البيت، بالإضافة إلى الاضطرابات السياسية والتدهور الاقتصادي الذي عاشه المغرب العربي، فانتشار الفقر والحاجة قاد البعض إلى الانسلاخ من الدين والوقوع في الزندقة. وقد انتشرت في المغرب العربي في أيام العبيديين بعض مظاهر الزندقة تمثلت فيما يلي:

- الغلو في عبيد الله المهدي: فخرج في سنة [309هـ] بالقيروان: أحمد البلوي النخاس، كان يصلي إلى رقادة أيام كون عبيد الله بها وهي منه في المغرب فلما انتقل عبيد الله إلى المهدية وهي منه في المشرق، صلى إليها وكان يقول: لست ممن يعبد من لا يرى! وكان يتصدى لعبيد الله ويقول له: أرق إلى السماء كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق! وكان يقول لأهل القيروان في عبيد الله: أنه يعلم سركم ونجواكم[59].
- تحليل المحرمات: فظهر أيام العبيديين قوم يحلون المحرمات، ويرتكبون الكبائر منهم: إبراهيم بن غازي، فكان يأكل في شهر رمضان جهارا ويرتكب الكبائر، على الرغم من أنه كان في أيام بني الأغلب من المتزهدين المرابطين[60]. كما جاهر جماعة من الشيعة في تونس وباجة والقيروان بتحليل المحرمات، وأكلوا الخنزير، وشربوا الخمر في رمضان. كما عرف عن بعض دعاة الإسماعيلية من الأعمال الشنيعة ما يؤنف من سماعه، كفعل الداعي الإسماعيلي منيب بن سليمان المكناسي الذي أظهر التشريق بجانب تيهرت، في صورته المتطرفة، فافتتن السكان، وتحللوا من القيود، وأباح بعض العامة لأنفسهم انتهاك الاعراض والمحرمات، فكانت حركة الداعي منيب وجماعته من التطرف والتجاوز إلى حد أنها أحدثت ثورة في المدينة؛ إذ قام جمع من السكان ضد الداعي وجماعته فقتلوا بعضهم[61]. حين شاعت مظاهر الزندقة في المغرب العربي، ساءت بذلك سمعة دولة بني عبيد في أرجاء العالم الإسلامي حتى عُير القائم بأمر الله بذلك من قبل جماهير السنة في مصر في أثناء ذهابه إليها، لذلك اجتهد المهدي في الحد من تطرف الدعاة، والعامة، وأمر بجمعهم من الآفاق القاصية والدانية، فسجنوا بالمهدية عاصمة بني عبيد

---

[57] انظر: إسماعيل بن يحيى المزني، المختصر من علم الشافعي ومن معنى قوله. 447/2.

[58] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لابن حجر. 271/12.

[59] انظر: البيان المغرب 186/1.

[60] انظر: البيان المغرب 186/1.

[61] انظر: البيان المغرب 185/1.

حتى مات أكثرهم[62]، كما أمر بالكف عن طلب التشيع من العامة خيفة من انتشار الغلو، والتطرف والزندقة[63].

وبالرغم من تبرئة مؤرخ الدولة العبيدية المهدي من مسؤولية انتشار مظاهر الزندقة والغلو في المغرب العربي، إلا أن سياسة المهدي في نشر التشيع الغالي في المغرب ساعدت على ظهور الغلو والتطرف من الدعاة والعامة على حد سواء؛ حيث كان المهدي "يشتد على أهل القيروان وما يملكه من أرض المغرب بالجور وقتل الرجال واستصفاء الأموال وقصد الفقهاء والعلماء، وقد كان بثّ دعاته فيها يدعون الناس إليه وإلى طاعته، ويأخذون عليهم العهود، ويلقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم واحتمال كل طبقة منهم، فمنهم من يلقون إليهم أنه المهدي ابن رسول الله وحجة الله على خلقه، ومنهم من يلقي أنه رسول الله وحجة الله، ومنهم من يلقي أنه الله الخالق الرازق، فكان إذا ضج الناس من هذا وظهر منهم الانكار يأخذهم الدعاة، فمرة يحبسون بعضهم، ومرة يقتلونهم"[64].

المبحث الثاني: الآثار السياسية لوجود الإسماعيلية في المغرب العربي

تتسم حقبة الدولة العبيدية في المغرب العربي بكثرة الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار نتيجة لنظام الدولة العبيدية القائم على فرض المذهب الإسماعيلي بالقوة والإجبار، ومواجهة المذاهب الموجودة في المغرب آنذاك من مالكية سنية، وخوارج صفرية وإباضية. وعلى الرغم من وجود فترات من حكم الدولة العبيدية ساد فيها الأمن النسبي، وانتهج فيها الخليفة سياسة اللين مع أصحاب المذاهب، إلا أن الغالب في حكم الدولة العبيدية كثرة الاضطرابات، وقد تركت سياسة العبيديين آثارها على المغرب العربي من نواحٍ عدة، وبيان ذلك يتضح من خلال ما يلي:

- **سياسة العبيديين في إدارة البلاد وأثرها على البربر في المغرب العربي**

سلك أئمة الدولة العبيدية خلال سعيهم لإقامة دولة لهم تحمل لواء المذهب الإسماعيلي، مسلك الخوارج من قبلهم، فإن الناظر في قيام الدول عامة يلحظ أنهم ابتداء يسعون لإثبات شرعيتهم في البلاد ، وإقامة نظام الحكم، فالخوارج استندت إلى خلفيتها العقدية في الإمامة وحق الشورى بين المسلمين، فأشاعت حين دخولها للمغرب، حق البربر في الخلافة، وأنها ليست حكراً على العرب، على الرغم من مناقضتهم لأنفسهم وجعلهم الإمامة وراثية تنتقل بين أبناء الحاكم، واستندت الإسماعيلية إلى نظريتها العقدية في الإمامة؛ حيث ترى الإسماعيلية ضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل علي بن أبي طالب، فالإمام بحسب الاعتقاد الإسماعيلي هو "خليفة الرسول، والوريث الوحيد للرسالة المحمدية، والمكلف دون سواه بالإشراف الفعلي على حظوظ الأمة، وتلقين تعاليم الدين الحق، وهو الإمام المعصوم، يتمثل فيه تجسيد المقدسات ورموز الباطن وهالة صفات الله"[65] لذا فإن الطاعة للإمام واجبة حيث هو "الحائز الأوحد للحقيقة، والمؤهل الوحيد لإبلاغها إلى المطلعين على الأسرار وإلى عامة المؤمنين، وباعتباره مستودع العلم فهو على وجه الخصوص المؤتمن على مذهب أهل البيت الذي صاغه الأئمة السالفون منذ جعفر الصادق ودونوه في الكتب المحفوظة بكل عناية"[66]. وإن كانت الخوارج حين دخولها المغرب

---

[62] انظر: البيان المغرب 186/1.

[63] انظر: تقي الدين المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. 68/1.

[64] انظر: القاضي عبد الجبار الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة. 600/2.

[65] انظر: فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب. 418.

[66] الخلافة الفاطمية بالمغرب. 420.

العربي قد أشاعت بين البربر حق الإمامة للجميع، فأشعلت المغرب ناراً بثوراتها التي طالبت فيها بالإمامة، ثم هي قد استأثرت بالإمامة لنفسها وجعلتها حقاً مشاعاً بين أبنائها فقط، وجعلت من الإمامة هدفاً لإقامة دولة تقوم على المذهب الخارجي، فقد دخلت الإسماعيلية المغرب العربي متخفية؛ متخذة من التشيع ستاراً يحجب أنظار الناس عن حقيقة دعوتها، فغلفت عقائدها الباطنية بدعوى حب آل البيت، ثم ما أن اطمأنت لحال البربر، حتى أشاعت بين القبائل قرب ظهور المهدي، فحرص الداعي أبو عبد الله الشيعي خلال إقامته في المغرب بين قبائل كتامة على بث دعوته باسم المهدي المنتظر الإمام المنحدر من نسل النبي صلى الله عليه وسلم، وحين قدم أبو عبد الله المهدي إلى الكتاميين قال: (هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون) ثم لا يلبث المهدي أن يتسمى بأمير المؤمنين ويدعى له في المنابر؛ إظهاراً لحقه بالخلافة دون سواه، وإيذاناً بصبغ الدولة بالمذهب الشيعي الإسماعيلي، فاتخذ المهدي وأبناؤه من بعده إجراءات سياسية لإدارة البلاد، عانى منها البربر في المغرب العربي، وساد الاضطراب والخراب مناطق المغرب، وقتل فيها الكثير من البربر. فكان من سياسة العبيديين ما يلي:

1- إباحة قتل المخالفين وتدمير القرى وإحراقها.

إن سياسية التدرج عند الإسماعيلية ليست خاصة بالدعوة إلى المذهب فقط، بل حتى على الصعيد السياسي، فالداعي أبو عبد الله الشيعي قد استقرت له الأمور وخضعت له القبائل واتسمت سياسته باللين في بداية أمره، فتؤرخ المصادر دخوله للقيروان في سنة[280هـ]فظهر عند قبائل البربر بمظهر الشيخ المعلم المحب لآل البيت حتى كسب قبائل كتامة في صفه، ثم ما لبث أن كرس جهوده في نشر الدعوة الإسماعيلية حتى سنة[291 هـ]وهي السنة التي بدأ فيها أبو عبد الله الشيعي بأعماله الحربية في سبيل التجهيزات لقدوم المهدي، فغدا الشيعة الإسماعيلية منذ هذا التاريخ أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة إلى الغرب من القيروان. ومما يدل على سياسة التدرج التي سلكها الداعي أبو عبد الله الشيعي في سبيل ضمان تثبيت دعائم المذهب الإسماعيلي أنه نهى أخاه أبا العباس أن ينشر المذهب بين الناس بطريق العنف والإكراه، فلّما أراد أبو العباس أن ينفى من القيروان من خالف مذهبه، قال له أبو عبد الله: (إن دولتنا دولة حجّة وبيان، وليست دولة قهر واستطالة، فاترك النّاس على مذاهبهم)[67]

تزامن وجود الداعي الشيعي أبي عبد الله في المغرب مع الضعف الذي أصاب الدولة الأغلبية آنذاك، مما جعل أهم أعمال الداعي هو ضم رقادة عاصمة الأغالبة إليه، والمتتبع لكتابات المؤرخين في سير أبي عبد الله وجيشه في المغرب للإطاحة بملك الأغالبة، وسياسته في ضم مدن المغرب إليه، يظهر له جلياً سياسة التدرج التي اتبعها الداعي فحين خروجه من القيروان وسيره إلى مدن المغرب لضمها إليه لم يأمر جيشه بقتل المخالفين وإحراق قراهم ومدنهم، وإجبارهم على الدخول في مذهبه والانضمام إليه، بل كان أبو عبد الله يأمر أصحابه بالكف عن الغارات[68]، حتى دخوله إحدى مدن المغرب، التي كانت تابعة للأغالبة، وسقوطها يعني انتهاء حكم الاغالبة، فتبدلت سياسة اللين التي اتبعها الداعي فحين دخلها كان بها إبراهيم بن أبي الأغلب في عساكر أفريقية وجمهور أجنادها، فقاتلها حتى أخذها عنوة ودخلها بالسيف فهرب إبراهيم بن أبي الأغلب، ونجا في جماعة من القواد والجند. ولجأ أهلها ومن كان اجتمع فيها من فلول العسكر إلى الجامع وركب بعض الناس بعضا وقتلهم عبيد الله أجمعين حتى كانت الدماء تسيل من أبواب المسجد كما يسيل الماء من وابل الغيث. وقيل إنه قتل داخل المسجد ثلاثين ألف رجل. وكان قتلهم من بعد صلاة العصر إلى أخر الليل. فلما أصبح، وقد فرغ من القتل والنهب والسبي، نادى بالرحيل

---

[67] انظر: شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. 99/28.

[68] انظر: البيان المغرب145/1.

وانصرف إلى مدينة أخرى إذ خشي أن يحاشد عليه من أهل أفريقية[69]. زادت هذه السياسة حدة حين وصول المهدي إلى مدينة رقادة، فبوصوله إليها ابتدأ تاريخ جديد للشيعة الإسماعيلية، فظهرت أهداف الإسماعيلية الحقيقية، وسوء سياستهم مع أهل المغرب العربي، وشاع القتل في مدن المغرب، ففي سنة [298هـ] تجول أبو عبد الله الشيعي في بلاد البربر، فقتل الرجال، وأخذ الأموال وسبى الذرية وأحرق بعض المدن بالنار، وكتب بالفتوحات إلى عبيد الله[70].

وكان عبيد الله المهدي إمام دور الظهور في المغرب العربي، مما كان يعني اتباعه لسياسة الحزم والحسم في إخضاع وترهيب القبائل حتى يتسنى له تثبيت دعائم الدولة العبيدية، وبناء عاصمة لها تكون مركزاً سياسياً ودعوياً. عمل المهدي على تثبيت ملكه في المغرب من خلال صك العملة، وأمر الخطباء بالدعوة إليه في المنابر، وعمل على القضاء تماماً على جميع ما يخص الدول التي كانت قائمة في المغرب، فنصب لوحات تذكارية باسمه على الأعمال العمرانية للأمراء السابقين، حيث أصدر أوامره "بأن تقلع من المساجد والمواجل والقصور والقناطر، أسماء الذين بنوها وكتب عليها اسمه"[71] إعلاناً منه أنه صاحب الحق الشرعي الوحيد في حكم الدولة، وأرسل كتبه إلى زعماء القبائل في المغرب العربي يأمرهم بالانضمام إليه، والدخول في طاعته، فورد في أحد كتبه أبيات تنبئ عن سياسته التي انتهجها في معاملة المخالفين:

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم ... وأن تعدلوا عني أرَ قتلكم عدلا

وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم ... وأدخلها عفوا وأملؤها قتلا[72]

وعمل على التخلص من كل من يشكك في شخصه وانتمائه لآل البيت ومهديته، فتذكر المصادر التاريخية أن أحد المشايخ قدم إلى عبيد الله فقال: قد شككنا في أمرك فأتنا بآية إن كنت المهدىّ كما قلت. فتعاظم ذلك وقال: ويحكم إنكم كنتم قد أيقنتم والشكّ لا يزيل اليقين، فأبيتم إلّا الإصرار! ثمّ أمر بقتله[73]. بل لم يتردد المهدي في قتل داعيه ابي عبد الله وأخيه أبي العباس رغم اعتراف المهدي بإخلاص الداعي أبي عبد الله في دعوته، فقال عند دفنهما: (رحمك الله أبا عبد الله، وجازاك في الآخرة بقديم سعيك! ولا رحمك الله أبا العباس، إنك صددته عن السبيل وأوردته موارد الهلاك! ثم قرأ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: 36-37] وكتب إلى الشيعة بالمشرق في أمرهما: أما بعد فقد علمتم محل أبي عبد الله وأبي العباس من الإسلام. فاستزلهما الشيطان فطهرتهما بالسيف والسلام"[74]. وقد أوقعت هذه الحادثة الرعب في نفوس الكتاميين، فاحتجب عبيد الله عن كتامة أياما كثيرة، حتى تهدأ نفوسهم، وتغيب الحادثة عن عقولهم، ثم أمنهم وأدخلهم على نفسه مفترقين على حذر منهم ثم عمل على جماعة منهم وهم الذين كانوا من أنصار الداعي، فقتلهم بأصناف من القتل[75]. وكان من آثار هذه الحادثة أن انشق جماعة من أنصار

---

[69] انظر: البيان المغرب 146/1.

[70] انظر: البيان المغرب 162/1.

[71] انظر: البيان المغرب 159/1.

[72] انظر: أبو عبد الله البكري، المسالك والممالك. 769/2.

[73] انظر: نهاية الأرب 107/28.

[74] البيان المغرب 164/1.

[75] انظر: البيان المغرب 165/1.

الداعي وأعلنوا الثورة على المهدي والخروج عليه ومحاربته، فبلغ الأمر إلى حد أنهم أعلنوا إمامة أحد فتيانهم واسمه كادوا بن معارك، وزعموا أنه المهدي المنتظر، فأعلنت الحركة المنشقة دعوة إسماعيلية جديدة، حيث أجروا مراسم الإمامة وفق المذهب الإسماعيلي على من ادعوا أنه المهدي، فقدم الكتاميون المنشقون لكادوا بن معارك فروض التبجيل، ونصبوا له الدعاة على النسق الذي قام عليه المذهب الإسماعيلي، وادعوا أن أبا عبد الله الشيعي الامام المستقر حي لم يمت، وأن كادوا بن معارك المهدي يقوم بدور الإمام المستودع، وكتبوا كتاباً فيه شريعة زعموا أنها نزلت عليه، وسيّر المهديّ ابنه القائم بأمر الله فقتلهم ومزقهم، وأخذ مدعي المهدية وقدم به على أبيه أسيراً ، فقتله وقتل جماعة أسرهم معه من أهل بيته خاصّة[76].

واتسمت أعمال المهدي في بلاد المغرب العربي، وسعيه لإخضاع قبائل البربر، وضم مناطق المغرب إليه بسياسة الإرهاب والإجبار، وهذا يتضح من خلال أوامره التي أصدرها لجيوشه حيث:

- أخرج العساكر إلى تاهرت عاصمة الخوارج الإباضية، فحورب أهلها ثلاثة أيام، ثم دخلوها فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وانتهبوا الأموال، وحرقوا المدينة بالنار. وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل[77].
- وجه عبيد الله المهدي العساكر بقيادة ابنه أبي القاسم القائم بأمر الله لمحاربة طرابلس فلما وصلت الجيوش إلى طرابلس أخرجوا إليها مراكبهم فحرقوا الأسطول، وقتلوا من فيه. وسار أبو القاسم في البر نحو طرابلس فأوقع بأهل هوارة، ثم نزل على طرابلس فحاربها وحاصرها حتى أكلوا الميتة فرغب أهلها بالأمان، فأمنهم إلا ثلاثة أنفس اشترط التحكم فيهم[78].
- واجه المهدي عصيان أهل مدينة برقة في سنة[303هـ]، فأرسل لهم جيشاً بقيادة أحد رجال كتامة، امتدت الحرب في المدينة حوالي ثمانية عشر شهراً، عانى أهل المدينة فيها من شدة الحصار والحريق بالنار حتى فني أكثر أهلها، فسقطت في سنة[304هـ] فانتزعت أموالهم، وسير بزعمائهم إلى المهدي فقتلهم[79].

وقد اقتفى خلفاء المهدي أثره في سياسته الداخلية في مناطق المغرب العربي مع البربر من المخالفين له، وسياسته الخارجية مع الدول المجاورة للمغرب. ففي عهد القائم شهد المغرب حصاراً شديداً على مدينة فاس استمر سبعة أشهر، وقام جيشه في سنة [324هـ] خلال مروره بإحدى المناطق بإنزال عقوبات شديدة من قتل الرجال وسبي النساء[80]. ومن أهم الحوادث التي تذكر في عصر القائم هي: ثورة أبي يزيد النكاري الخارجي حين ثار على العبيديين، فالمتتبع لمجريات الصراع بين الطرفين يقف على الكثير من أعمال التخريب في المدن، والعنف والإرهاب

---

[76] انظر: البيان المغرب 166/1، يحيى بن سعيد الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخاء. 67.

[77] انظر: البيان المغرب 166/1.

[78] انظر: البيان المغرب 169/1.

[79] انظر: البيان المغرب 175/1.

[80] انظر: المسالك والممالك845/2.

النفسي الذي طال حتى النساء والأطفال[81] ، فعظمت المحنة على أهل المغرب جراء الصراع بين الطرفين "وعظم القتل بضواحي إفريقية، وخلت القرى والمنازل ومن أفلته السيف أهلكه الجوع"[82].

ورغم سياسة العنف والقتل التي ابتدأها المهدي وسار عليها خلفاؤه في سبيل إخضاع المغرب وضم مدنه تحت لواء الدولة العبيدية، إلا أنه يجب الإنصاف وتحري قول الحق في نقل مجريات الأحداث، فإن الناظر في سياسة الخليفة العبيدي أبي الطاهر إسماعيل بن أبي القاسم محمد الملقب بأبي منصور يدرك أن السمة العامة في عصره كانت قائمة على تهدئة الصراعات القائمة جراء ثورة أبي يزيد، ومحاولة استتباب الأمن واستقرار الأوضاع حتى أن المنصور صفح عمن ناشبه الحرب وسعى في الفتنة، وأطلق جميع المخلّدين في الحبوس[83]. وأهم ما يعبر عن سياسة التهدئة والوفاق التي اتبعها المنصور، عمله في إعادة الحجر الأسود إلى موضعه في الركن من الكعبة، الأمر الذي اعتبره بعض الباحثين بمثابة التوفيق العام بين السنة والشيعة[84].

2- نظام السخرة وأثره على البربر.

عانى البربر خلال حكم الدولة العبيدية من الحروب، والاضطرابات السياسية التي كان من آثارها انتشار الفوضى وإشاعة الثورات في أرجاء المغرب العربي، ومعلومٌ ما للحروب من أثر نفسي ومالي جعل البربر بأمس الحاجة إلى العمل وكسب الرزق، وعلى الرغم من ذلك وبدلاً من سعي أمراء بني زيري في توفير فرص العمل للبربر، وجه أبو الفتوح يوسف بن زيري في سنة[365هـ] أوامره إلى نائبه عامل افريقية بإعداد أسطول مجهز بالرجال والسلاح، فأخذ نائبه بحشد البحريين من كل البلدان، كما أمر بجمع المتخلفين منهم، سواء في القيروان أو غيرها من المناطق، ووضعهم في السجون حتى امتلأت بهم، انتظاراً لترحيلهم إلى المهدية عاصمة الدولة العبيدية، مما أثار القلق في نفوس العامة حتى امتنعوا عن الخروج ولزموا بيوتهم، حتى انتهى بهم الحال إلى أنه إذا مات أحد عندهم لا يخرجه إلا النساء[85].

3- السياسية المالية في الدولة العبيدية وأثرها على البربر.

لم تكن معاناة البربر في دخول العبيديين أراضيهم لتقف عند حد القتل وإحراق القرى وغير ذلك مما جرى ذكره، بل عانى البربر جراء الغرامات والضرائب التي فرضها الشيعة الإسماعيلية عليهم، وقد اتبع العبيديون في المغرب العربي سياسة التدرج ايضاً فيما يتعلق بالسياسة المالية؛ حيث كان طابع السياسة المالية في عهد الداعي أبي عبد الله الشيعي: التخفيف ما أمكن عن دافعي الضرائب في الأقاليم المفتوحة، كنوع من الدعاية التي تساعد على نشر المذهب الإسماعيلي، وارتكزت هذه السياسة على محورين؛ أحدهما: ينادي بإسقاط الضرائب المستحدثة في دولة الإسلام، والآخر: يتمثل في حق الإمام في الخمس الذي هو أشبه بقاعدة مركزية من قواعد المذهب من حيث النظر إلى أموال الرعية بصفتها مكاسب سلمية مثل مكاسب الحرب، وهو علامة الولاء والطاعة للإمام عند الشيعة بشكل عام والاسماعيلية منهم بوجه خاص، وقد عبر أبو عبد الله الشيعي عن ولائه للمهدي من خلال التزامه بدفع

---

[81] انظر: البيان المغرب 216/1.

[82] تاريخ ابن خلدون 21/7.

[83] انظر: تاريخ الانطاكي 58.

[84] انظر: تاريخ المغرب الكبير 208/3.

[85] انظر: البيان المغرب 229/1.

الخمس حين كان المهدي لاجئاً في سجلماسة[86]. كما اقتضت سياسة الداعي الشيعي رفض ضريبة الخراج. وقد تبدلت هذه السياسة مع دخول المهدي للقيروان وإعلان دور الظهور، فأبدى المهدي اهتماماً بجمع المال منذ لحظة خروجه من سجلماسة وقدومه إلى القيروان، حيث تذكر مصادر التاريخ ارتياب قبائل البربر في القيروان منه حين استقبلوه فهنأوه وسألوه الأمان، فأمنهم في أنفسهم وذراريهم، دون الإشارة إلى الأموال رغم سؤالهم له، الأمر الذي أدى إلى أن "يخافه أهل العقل من ذلك الوقت"[87]. وقد عمد المهدي إلى مصادر عدة جعلها في بيت المال منها:

- الغرامات والمصادرات: ففي سنة[300هـ] أخرج المهدي جيوشه إلى طرابلس، وأغرم أهلها جميع ما أنفقه على تلك الحملة، وعندما سارت جيوشه نحو المشرق، كان كلما دخل مدينه قتل أهلها وأخذ أموالهم، فأغرم أهل برقة مائة ألف دينار تحت تهديدهم بالقتل، وأخذ جميع أموال بني حمال المزاتي بدعوى أنهم أساءوا إلى الإمام عند قدومه من مصر، وسرقوا بعض أمواله ومتاعه، فكانت أموال البربر القاطنين في مناطق المغرب عرضة لغارات المهدي وجيوشه. وبالإضافة إلى العقوبات التي كانت تفرض على مدن المغرب، والأموال التي تنهب من أهلها كانت المغارم التي يؤتى بها من بعض مدن الخارج، مورداً لبيت المال في المهدية عاصمة الدولة[88].
- ضرائب مستحدثة: استحدث المهدي نوعاً جديداً من الضرائب ليسد بها حاجات الدولة التي بدأت تتطور وتتسع في عهده، كضريبة طريق الحج[89]. ومن زاوية أخرى فإن نفقات البلاط كانت في غاية البذخ والتبذير، مما كان يرهق الميزانية، فيلجأ الخليفة العبيدي لبعض الإجراءات التعسفية ضد أصحاب الأموال من المصادرات وأعمال النهب وغيرها. مما ينبئ عن فساد إدارة العبيديين المالية – وإن لم تكن بطبيعة الحال في كل العصور – نتج عنه فساد مالي كان من مظاهره البذخ الذي وصل إليه بعض جباة الضرائب، نتيجة اختلاسهم للأموال[90].

الخاتمة: خلص البحث إلى أمرين مهمين: أحدهما: النتائج، ومن أبرزها ما يلي:

1- سلك الإسماعيلية في نشر مذهبهم في المغرب العربي مسلكاً دقيقاً حسب ما اقتضته مراتب الدعوة عندهم.
2- أظهر عبيد الله المهدي التشيع القبيح القائم على سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه حاشي علي رضي الله عنه.
3- تركت سياسة الدولة العبيدية الدينية القائمة على الإجبار والاضطهاد أثراً على العامة والعلماء في المغرب العربي.
4- تتسم حقبة الدولة العبيدية في المغرب العربي بكثرة الاضطرابات السياسية نتيجة لسوء إدارة العبيديين للبلاد.

---

[86] انظر: تاريخ المغرب الكبير 116/23.
[87] البيان المغرب 158/1.
[88] انظر: البيان المغرب 269/1.
[89] انظر: البيان المغرب 186/1.
[90] انظر: تاريخ المغرب الكبير 377/3.

5- قامت سياسة الإسماعيلية على إباحة قتل المخالفين وتدمير القرى، ونظام السخرة وفرض الضرائب الذي كانت له آثاره السيئة على العامة في المغرب.

ثانياً: أهم التوصيات:

- دراسة تاريخ مذهب الإسماعيلية في اليمن.
- دراسة أهم الأثار العقدية والسياسية للإسماعيلية في مصر.

المصادر والمراجع:

- ايمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الهيئة المصرية للكتاب، ط1 (2007م).
- محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية تاريخها، نظمها وعقائدها، مكتبة النهضة المصرية، ط1 (1959م).
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الإسماعيلية في المغرب ومصر وسوريه، مكتبة النهضة المصرية. بدون رقم وتاريخ طبع.
- عبد العزيز السالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، ط2 (1982م).
- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى نهاية القرن الخامس الهجري، المكتبة الوطنية، بدون رقم وتاريخ طبع.
- عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط1 (1417هـ).
- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، ط1، (1401هـ).
- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، (1975م)
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الكتب العلمية، ط1، (2009م).
- إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، دار الأندلس، ط2، (1409هـ).
- محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ط1، (1384هـ).
- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط3، (1405هـ).
- أبو بكر عبد الله المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، مؤسسة الغرب الإسلامي، ط2، (1414هـ) ,
- أبو الفضل القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة. بدون رقم وتاريخ طبع.
- أبو زيد عبد الرحمن الدباغ، معالم الإيمان في أهل القيروان. مكتبة الخانجي، ط2، (1388هـ).
- شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، دار الكتاب العربي، ط2، (1413هـ).

- محمد بن حارث الخشني، قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، مكتبة الخانجي، ط2، (1415هـ).
- أبو عبد الله محمد بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، دار الصحوة. ط1، (1401هـ).
- تقي الدين ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، مكتبة العلوم والحكم، ط3، (1415هـ).
- إسماعيل بن يحيى المزني، المختصر من علم الشافعي ومن معنى قوله، دار مدارج، بدون رقم وتاريخ طبع.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، المكتبة السلفية، ط1، (1380هـ).
- تقي الدين المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. الهيئة العامة لدار الكتاب، ط1.
- القاضي عبد الجبار الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، بدون رقم أو تاريخ طبع.
- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار الغرب الإسلامي. ط1، (1994م).
- أبو عبيد عبد الله البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ط1، (1992م).
- يحيى بن سعيد الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخاء، جروس بروس، ط1، (1990م).
- شهاب الدين النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق، ط1، (1423هـ).